

أسئلة العفتا

قبس من سورة النور



تأليف

عصّام بن صالح العويد

عضو هيئة التدريس بطلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



مركز تدابور للدراسات الإسلامية

أسوار العفاف

فبس من سورة النور

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

المملكة العربية السعودية

الرياض - الدائري الشرقي - مخرج ١٥

هاتف ٢٥٤٩٩٩٣ - فاكس ٢٥٤٩٩٩٦

ص.ب ٩٣٤٠٤ الرمز: ١١٦٨٤

البريد الإلكتروني: tadabbor@tadabbor.com

.....

ح عصام صالح العويد، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العويد، عصام صالح محمد

أسوار العفاف. / عصام صالح محمد العويد - الرياض ١٤٣٢هـ

٦٠ ص: ١٧ × ٢٢ سم

ردمك: ٨ - ٨٠١٦ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - المرأة في الإسلام ٢ - العفة ٣ - القرآن - سورة النور أ. العنوان

ديوي ١، ٢١٩ ٧٤٣٤ / ١٤٣٢

رقم الإيداع: ٧٤٣٤ / ١٤٣٢

ردمك: ٨ - ٨٠١٦ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨



هذه الكلمات قُبسة من مشكاة «النور»، ورشفة من شَهدِها،
ف(النور) لم يبتدئ العَظيم في القرآن العظيم سواها بتعظيم.
هي سورة الطهر والفضيلة، تغسل قلوب المؤمنين والمؤمنات
غسلاً؛ فما تُبقي فيها دنساً، وهي حين استهلّت قالت: «سُورَةٌ»؛
لتبني أسواراً خمسة شاهقة متينة، تحوط العفة وتحمي الطهر.
العِرض فيها كقلب المدينة الحصان، لا يُعلى على أسوارها، ولا
يُستطاع لها نقباً، فلن تتسلل إليها الأيدي الخائنة إلا بغدرة خوآن
من داخلها، فإذا غدرت جارحة فقد تُلم في جدار العفة ثُلمة.
فمن أجل العفاف تنزلت «النور».. ولأجل العفاف كُتبتُ
«أسوارُ العَفاف»

ولولا أن الله أهداني قلب أمي الحاني، ولسان أبي الداعي،
وجمل دنياي بحبيبي وحصتي من هذه الدنيا (حصّة) لما خط القلم
حرفاً...

فهذه مشاعري أهديتها لكم، لا حرمني الله دعاءكم ودِفْق
مشاعركم.

أَسْوَارُ الْعَفَافِ

(قبس من نور سورة النور)

الحمد لله، والصلاة والسلام على أفضل وأشرف رسل الله.. أما بعد:
فإن الحرب على الفضيلة والعفاف والطُّهر في هذا العصر قد شبَّ أوارها،
وارتفعت ألسنة نارها، حتى اکتوى بها المسلم والكافر، والتقي والفاجر، وعظم
دُخانها حتى غطى الأفق، وأعمى المقل في المحاجر، وإني على يقين من ربي جل
وعلا أنه لن يُطفئ لهبها، ويُبرد حرَّها، إلا ماء الوحي، ولن يبدد سحائب ظلماتها
إلا نور السماء يتنزل من «النور» سبحانه إلى ظلمات الأرض، وقد أنزل الله «سورة
النور» في كتابه «النور»، على نبيه «النور» صلى الله عليه وسلم، فكلها (نورٌ على
نور)، ولكن الشأن كلَّ الشأن فيمن يهتدي إلى فهم وتدبر هذا «النور» العظيم
﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (٣٥).

وهذه الرسالة إنما هي رشفة من عسل تدبر آياتها، وقبسة من أنوارها، فهي
سورة الطُّهر والعفة والفضيلة؛ تغسل قلوب المؤمنين والمؤمنات غسلًا؛ فما تُبقي
فيها دنسًا، تدبرتها سنين عددًا؛ فشيدت منها أسوارًا نورانية خمسة متينة شاهقة،
العرض في داخلها كقلب المدينة الحصان، لا يُعلى على أسوارها، ولا يُستطاع لها
نقْبًا، فلن تتسلل إليها الأيدي الخائنة إلا بغدرة خوَّان من داخلها، فإذا غدرت
جارحة تُلم في جدار العفة ثلثة.

فمن أجل العفاف تنزلت «النور»، ولأجل العفاف كُتبت «أسوار العفاف».





«سورة النور»

سورة النور لم يتبدئ العظيم في القرآن العظيم سواها بتعظيم، اختصها من بين كل القرآن أن افتتحها بالثناء عليها فقال:

- ﴿سُورَةٌ﴾ والسورة في اللغة: هي الأمر المنيف المرتفع عما حوله، وكذلك هي من بين سور القرآن، وهي مدنية باتفاق أهل العلم، ولا يعرف مخالف في ذلك، ونزول أولها في أوائل هجرة المصطفى ﷺ، في السنة الأولى أو الثانية، أيام كان المسلمون يتلاحقون للهجرة، وكان المشركون جعلوهم كالأسرى كما يدل عليه حديث مرثد رضي الله عنه مع المرأة عناق، كما سيأتي قريباً بإذن الله.

- ثم قال تعالى: ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ وكلُّ القرآن كذلك، لكن لها تنزيل وفرضية خاصة تليق بعظمتها، والسورة لها تعلق بعموم المجتمع؛ ولكنها أخص في شأن النساء، فقد أخرج أبو عبيد أن عمر رضي الله تعالى عنه كتب للأمصار: تعلموا سورة براءة، وعلّموا نساءكم سورة النور^(١). وعن مجاهد قال: علّموا رجالكم سورة المائدة، وعلّموا نساءكم سورة النور^(٢).

ومما قاله الحافظ ابن حجر الهيتمي المكي عن سورة النور وتعليمها للنساء، قال: أي لما فيها من الأحكام الكثيرة المتعلقة بهن، المؤدي حفظها وعلّمها إلى غاية حفظهن عن كل فتنة وريبة كما هو ظاهر لمن تدبرها.

- ثم قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ والقرآن بين كله، لكن هنا (فيها) بيان

(١) ينظر الدر المنثور للسيوطي: (٤/١٢٠).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان: (٢/٤٦٩) مرسلًا، ولا يصح مرفوعاً.



فوق البيان؛ فأحكامها واضحة معللة؛ ليس فيها أدنى التباس، فليس فيما تنزلت من أجله من متشابه القرآن شيء، لأن قضايا الأعراض، وحماتها من الدنس؛ ليست من المسائل التي يُقال فيها (اختلف العلماء)، نعم يختلفون في تقدير الوسيلة الموصلة إلى الغاية، وتبعاً لذلك يختلفون في حكم الوسيلة، فيختلفون مثلاً: هل تغطية الوجه للمرأة أمام أجنبي عنها واجبة أم مستحبة؟

لكن لو تبين أن «كشفه» موصلٌ يقيناً أو بغلبة ظن ظاهرة إلى الفاحشة؛ فلا خلاف بينهم في تحريمه، بل لو قدر أن «تغطيته» مألها كذلك فالتحريم قولٌ واحدٌ عند كلِّ فقيه.

ولأجل ألا تقع الأعراض ضحية الخطأ والصواب، وتضطرب طرائق المريين بحثاً عن العلاج؛ تكرر التأكيد فيها (سبع مرات) أن السورة بيّنة أشد البيان:

- (١) ﴿ وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)
- (٢) ﴿ وَقَدْ أَنْزَلْنَا الْيَكْرُمَ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ ﴾ (٣٤)
- (٣) ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤٦)
- (٤) ﴿ وَمَا عَلَّمَهُ الْقُرْآنُ إِلَّا الْبَلْعَ الْمُمِيتَ ﴾ (٥٤)
- (٥) ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥٨)
- (٦) ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥٩)
- (٧) ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٦١)

فويح من تركها واستعاض بغيرها من تجارب البشر، طلباً للطرق (الإيجابية)



فيما يزعم، فلو أفاد منها وجعل ذه تبعا لتلك لأحسن وأجمل.
 ولقد كانت عناية أهل العلم بها، وتوضيح أحكامها للناس -خصوصًا في
 مجامعهم- أمرًا مشهورًا، فأخرج الحاكم وغيره عن أبي وائل قال: حججت أنا
 وصاحب لي، وكان ابن عباس رضي الله عنهما على الحج فجعل يقرأ «سورة النور»
 ويفسرها فقال صاحبي: سبحان الله!! ماذا يخرج من رأس هذا الرجل! لو سمعت
 هذا الترك لأسلمت^(١).



(١) مستدرک الحاكم: (٣/٦١٨).



بدأتُ النور بكلمة (سُورَة) لتبني -والله أعلم - : أسوارًا (خمسة) شاهقة متينة تحوط العفة وتحمي الطُّهر، وهذه الأسوار هي:

السُّور الأول: أن بيضة العفة لن يحميها من لُعب الوالغين فيها إلا حزم خازم، وتنكيلٌ بالُغ في الدنيا قبل الأخرى. (المجتمع الطارد للرديلة).

السُّور الثاني: حفظ الفروج لا يكون إلا بحفظ الجوارح (تحصين الجوارح).

السُّور الثالث: أسلوب الإقناع بتعليل الأحكام (الإقناع بشرف الفضيلة).

السُّور الرابع: أن العفة في حقيقتها قضية قلبية وجدانية (غرس محبة العفة).

السُّور الخامس: العلم اليقيني بمراقبة الله (المراقبة الذاتية).

وتليها خاتمةٌ، لهذه الأسوار باب لا يغلق؛ دلت عليه ودعت إليه «النور»، لكنه لا يدخل معه إلا التائبون.





السُّورُ الْأَوَّلُ

أَنْ بِيضَةَ الْعَفَّةِ لَنْ يَحْمِيَهَا مِنْ لُعَابِ الْوَالِغِينَ فِيهَا

بفروجهم أو بألستهم إلا حزم خازم وتنكيل بالغ في الدنيا قبل الأخرى.

«النور» لم تبدأ بفضل العفاف وذكر محاسنه والتنفير من ضده، بل ولم تخوف الزاني بعقاب الآخرة، بل «النور» حين استهلت قالت:

- ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ (٢)، وإن كان محصناً فيرجم؛ حتى يُثْلَغَ رأسه، بصحيح السنة، وإجماع أهل السنة.

- ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ مع أن الرأفة في أصلها ممدوحة؛ ولكنها في هذا الموطن ضعف في الإيثار، لأن ههنا شرط (إِنْ كُنْتُمْ) فعدمه عدمٌ للمشروط (تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)، فمجرد وجود «الشفقة» في تنفيذ الحد زال معه كمال الإيثار.

- ولا بد من التشهير ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

- ولم تكتف «النور» بهذا؛ بل ضربت (عزلة اجتماعية)، و(حجراً صحياً) حتى تضيق دائرة الفحش، وحتى يتردد من ثارت فورته ألف مرة وهو يتدبر كيف سيعيش بعدها في المجتمع إن كشف الله ستره، ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣).

فالعفيف لن يتزوج زانية، والعفيفة لن ترضى بزنان، بقي أن يكونا زوجين زانيين؛ كخ فلن يقبل حتى الزاني أن تكون أم ولده فاجرة، والزانية أيضاً كذلك.

فلا بد بسلطان المجتمع أن يكونا عفيفين، إما أصالةً أو بتوبة، وإن رفضها



المجتمع بعد التوبة؛ فهنا يتدخل التشريع ليفرض على المجتمع أن يقبل به أو بها؛ فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

وهذا هو الصحيح في تأويل الآية أنها على ظاهرها، فلا يجوز تزويج الزاني من المحسن؛ ذكرًا كان أم أنثى حتى يتوب، وهو قول جماعة من السلف، ونص عليه إسحاق وأحمد، وهو اختيار صاحب المغني وشيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من المحققين، فقد أخرج أبو داود والنسائي والترمذي وغيرهم بإسناد حسن عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ مَرْثَدَ بْنَ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ كَانَ يَحْمِلُ الْأَسَارَى بِمَكَّةَ، وَكَانَ بِمَكَّةَ بَغِيًّا يُقَالُ لَهَا عَنَاقُ وَكَانَتْ صَدِيقَتُهُ، قَالَ: جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْكِحْ عَنَاقَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ عَنِّي، فَزَلَّتْ (وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) فَدَعَانِي فَقَرَأَهَا عَلَيَّ، وَقَالَ: لَا تَنْكِحُهَا^(١).

وعند أحمد وأبي داود بإسناد لا بأس به مرفوعًا: «لَا يَنْكِحُ الزَّانِي الْمَجْلُودُ إِلَّا مِثْلَهُ»^(٢)، قال الحاكم: صحيح الإسناد^(٣)، وقال الحافظ في البلوغ: رجاله ثقات.

ولأن الرضى بالزواج من الزاني أو الزانية دياثة منافية للغيرة المحمودة، وفي الحديث عند أحمد وغيره مرفوعًا (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ دَيْوُثٌ)^(٤)، وعند النسائي (ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُرْتَجِّلَةُ تُشَبَّهُ بِالرِّجَالِ، وَالِدَيْوُثٌ)^(٥).

(١) سنن أبي داود: (٢/٢٢٠)، وسنن النسائي: (٦/٦٦)، وسنن الترمذي: (٥/٣٢٨) ت: شاكراً، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وقال الألباني: (حسن صحيح) كما في سنن أبي داود: (٢/٢٢٠).

(٢) مسند أحمد: (١٤/٥٣) ط الرسالة، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - برقم: (٨٣٠٠)، وسنن أبي داود: (٢/٢٢١) عنه برقم: (٢٠٥٢)، وقال الألباني: صحيح.

(٣) المستدرک: (٢/١٨٠).

(٤) مسند أحمد: (٩/٢٧٢) عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - برقم: (٥٣٧٢) ولفظه: «ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والدیوث».

(٥) سنن النسائي: (٥/٨٠) عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - برقم: (٢٥٦٢) ولفظه: «ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المرتجلة، والدیوث».



إن سُورَ «النور» الأول لحماية المجتمع من شيوع زنى الفرج - عيادًا بالله - هو: «المجتمع الطارد» لهذه الرذائل، فهو مجتمع محصن، يجلداهم بلا رافة، يُشَهَّر بهم، يحجر عليهم.

وقد بدء بهذا السُور لأنه أقواها ردعًا وأبقاها أثرًا، لكنه «سُورٌ جماعي»، قبل أن تبنيه لابد أن تبني المجتمع الذي يتبناه.

فإن قيل: فأين التخويف بعذاب الآخرة؟

فالجواب: قد جاء هذا كثيرًا في ثنايا السورة، لكن الفاحشة إذا فارت في القلب طغت على نور العقل؛ فقلما يردعها تذكر الآخرة إلا عند عبادِ الله مخلصين، بينما بأس الدنيا من الجلد والفضيحة وخوف نبد المجتمع ينزع الله به ما لا ينزع بالقرآن.

وإن قيل: وأين التحصين بالتربية، وغرس محبة الطهر والعفة؟

فبيانه أن هذا وغيره سيأتي، ولكن هكذا شاء العليم الحكيم أن يرتب آيات هذه السورة العظيمة، هذا هو السُور الأول لتحصين الفرج.

وأما تحصين اللسان عن الفاحشة كما جاء في «النور» فشيء آخر:

فقد تعاملت «النور» مع الوالغين في الأعراض بألستهم بحجج عقلية، ونداءٍ إيماني، وصرامة شديدة، في الوصف والجزاء والشرط، حتى إنه يتخايل لك حيناً أن تهديدها للألسنة الوالغة أشدُّ مما هددت به الفروج الزانية، (فالفرج) جريمته مع بشاعتها هي واحدة، فإذا تناقلتها (الألسنة) صارت ثقافة شائعة فانتُهكت آلاف الفروج المحرمة.

ومن البدهي أن ليس للإشاعات نمط واحد لا تتجاوزه، بل يدخل فيها



شائعات البريد الإلكتروني، ومنتديات الإنترنت، ومواقع اليوتيوب، والفيسبوك، وتويتر، والتشات، والدردشة، ورسائل الجوال، والمسنجر، عن فلانة وفلان، ونلاحظ أن بعضهم إذا اختلف مع رجل أو امرأة في عقيدة أو فكر أو منهج ونحوها استباح من مخالفه كل عرض، وظن أن هذه المخالفة تسوغ له بهتانه، بل حيناً يحتسب الأجر عند الله - بزعمه - لأن مخالفه عدو لله.

وله نصيب وافر منها أيضاً ذاك الكذاب الذي رأى ظنةً فصيرها مئةً، فأخذ يثير الظنون الفاسدة بين الناس، بمثل قوله لهم: رأيت زوجته تكلم فلاناً، وبنات جيراننا يعدن في ساعة متأخرة من الليل، وفلانة تركب مع رجل غريب... ومن هؤلاء من يحدث بكل ما سمع، ويزعم أنه لم يتهم وأنه وأنه.. وإنما هو ناقل، فيقال له: لقد قال رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ وَلَا تَحَسُّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا...» (١).

وهذه هي الأوصاف التي اختارها الله لهم:

- ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤)

- ﴿ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكٰذِبُونَ ﴾ (١٣)

وصيغة الحصر في الآيتين للمبالغة، كأنه لا يوجد في الدنيا من الفاسقين والكاذبين إلا هم، و(عند الله) جملة حالية أي أنهم في علم الله الذي لا يدخله تغيير أو تبديل هم كاذبون.

- ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ

اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (١٥)، ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ والتلقي عادة بالأذان، لا بالألسنة؛ لكنهم

لسرعة إلقاءهم هذه الإشاعات بألسنتهم بمجرد سماعهم لها فكأنها عبرت للسان

(١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، رقم الحديث: (٢٥٦٣).



دون مرور بالسمع، وتأمل خفة العقل هنا. وفي القراءة الأخرى ﴿إِذْ تُلْقُونَهُ﴾ معنى آخر، فتلقونه من الإلقاء وهو أن هؤلاء اعتادت ألسنتهم أن تتحدث بأعراض الناس في كل حين وتؤلف التهم، وتفترعها^(١) حتى لو من دون سماع لشائعة أصلاً، فأصبحت ألسنتهم مصانع تلقي الإشاعات، والكذب الذي يبلغ الآفاق، فيلقونها جُزأفاً من دون اكتراث، ولا تأن، ولا محاسبة، وفي الصحيحين في حديث الرؤيا الطويل (وَأَمَّا الَّذِي رَأَيْتَ يُشْرِشِرُ فَمُهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ فَذَاكَ رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهِ يَكْذِبُ الْكَذِبَةَ فَيَشِيعُ فِي الْآفَاقِ)^(٢).

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ ومن المعلوم أن القول يكون بالأفواه لا بغيرها، فما سر ذكرها؟ وجواب هذا أن القول لما لم تقلبه القلوب، وتمحصه العقول أصبح مجرد حركة للأفواه لم تتأمل عقبها.

وأما قوله سبحانه ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ فقد نطقت بما ليس للعبد معها إلا أن يرددها.

أما الجزاء: فذكر الله لهم ثلاث عقوبات: ﴿فَلَجِدُوهُمْ ثَمَنِينَ جَلْدَةً﴾ (٤)، ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ (٤) أي حتى يتوبوا، ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٤).

وأما الشرط: فقال تعالى: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧) ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ﴾ الموعظة تأتي في غالب القرآن ولا تُسند لفاعل (يُوعِظُ بِهِ)،

(١) «افترعوا الحديث: ابتدؤوه» ينظر: (تاج العروس: ٤٩٣/٢١).

(٢) أخرجه البخاري مطولاً عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه -، صحيح البخاري برقم: (٧٠٤٧)، وأخرجه مسلم عنه مختصراً، برقم: (٢٢٧٥).



(يُوعِظُونَ بِهِ)، (مَوْعِظَةٌ)، وهنا جاء لفظ الجلالة صريحاً (يعظكم الله)، والموعظة تكون لمن علم التحريم أعظم ممن لم يعلمه، وكلاهما يوعظ العالم والجاهل.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرط، ومن المقرر أن الشرط يلزم من عدمه العدم، فمن عاد فليس بمؤمن، وهذا الشرط دليل عند الإمام أحمد على تكفير كل من رمى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ لأن الآيات نصٌ فيها.

وهنا واجبات أربع فرضها الله على المجتمع حين ورود شائعة تتعلق بالأعراض:

فأولها: حسن الظن ببعضنا ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (١٢)، وتأمل قوله (بأنفسهم) فهم نفس واحدة، فكل ما يصيب المؤمن يصيب أخاه، شاء ذلك أم أبي، شعر بذلك أم لم يشعر.

ثانيها: التكذيب المباشر والصريح، إعمالاً للبراءة الأصلية ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾، ولم يرض منهم بقول: لاندرى.. الله أعلم.. قد يكون.. هذا مستبعد.. ونحو ذلك، بل يقذفون القاذف صريحاً بقولهم له هذا «إفك» و«بهتان» ﴿مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (١٦).

ثالثها: هات دليلك وبرهانك أو أنت رأس الكاذبين:

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَقُولْ لِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمْ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٣)، وهنا ثلاثة مؤكدات لاستحقاقهم هذا الوصف «عند الله» و«هم» و«ال»، وأنكأها أولها، وثالثها تفيد وكأن الكذب حُصر فيهم، وأصل الكلام «فأولئك كاذبون».

رابعها: التروي، وتقليب الأمر، والنظر في العاقبة، وترك العجلة في الكلام والحكم: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ (١٥)، وقال تعالى



منبِّهاً على قول المؤمنين في مثل هذا الموقف: ﴿ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ﴾ (١٦).
 ختاماً.. في صحيح مسلم مرفوعاً «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»^(١).
 حفظ الله فروجنا وألسنتنا وجوارحنا من كل سوء،
 وإلى السُّور الثاني بمشيئة الله وعونه سبحانه.



(١) رواه مسلم في المقدمة عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: (١٠/١)، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

السُّور الثاني

حفظ الفروج لا يكون إلا بحفظ الجوارح

(البصر) و(السمع) و(اللسان) و(القلب) و(الأيدي) و(العورة) و(الرَّجل) و(الرأس من قوله «خُمرهن») و(النحر والصدر من قوله ﴿جُيُوبِنًا﴾ هذه تسع جوارح نصّت عليها «النور».

عجباً من أجل صوت خلخال من رَجُلٍ امرأةٍ يتكلم الله!! نعم إنها العفة. العِرض في سورة النور كقلب المدينة الحِصان، لن تتسلل إليها الأيدي الخائنة إلا ببغرة خَوَّانٍ من داخلها، فإذا غَدِرت جارحة ثَلُم في جدار العفاف ثُلْمَةً. وأثر هذه الجوارح على العفة أو ضدها واضح، لا يحتاج إلى برهان، ولذا اتفق الأئمة الأربعة على:

تحريم مس يد المرأة الأجنبية الشابة المشتهاة في العادة، بل ذهب المالكية والشافعية إلى تحريم مصافحة العجوز^(١)، وقد جربنا الاعتذار بأدب عن مصافحة النساء، وكنا نقول لغير المسلمات: زوجتي لا تحب مني ذلك، ومقصود المؤمن هو الله أولاً، ثم ما للحليلة من الحق في صون العهد والمعاملة بالمثل، فكان ذلك يلقي إكباراً واضحاً منهن، فأين هذه النظرة الإنسانية المجردة من خلال العقل والعاطفة السالمين من كُدرة هذا الزمان؛ من نظرة منهزمي المنهج ما بين مفتٍ يتبع المزلق أو ليبرالي يرى دينه عاراً عليه.

واتفقوا أيضاً على حرمة الخلوة بها؛ لكون ذلك سبباً ظاهراً للفساد.

(١) ينظر في نقل الاتفاق الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٧/ ٣٥٩).



وعلى حرمة كشف المرأة لوجهها إذا خيف عليها خوفاً ظاهراً.

وعلى حرمة تعطرها بما يجد الرجال الأجانب رائحته منها، أو تغنجها بالكلام أو بالرسائل أو تكسرهما بالمشي أو غمزها بالعين ونحو ذلك.

وقد قال الله تعالى في «النور» ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (٢١).

وفي الصحيحين «فَزَنَا الْعَيْنِ النَّظْرُ، وَزَنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ وَيَكْذِبُهُ»^(١).

والذي نحتاجه من «النور» هو النور القلبي، الذي يضيء لهذه الجوارح طريقها.. أين تمضي؟ وأين تقف؟ فإن المضي دائماً هلاك، والوقوف دوماً فناء.

وهنا مسألة أصولية عظيمة، نبهت عليها إشارات «النور» وهي أن:

حِياطة الطهر لا بد فيها من إعمال قاعدتين اثنتين:

«سدّ الذريعة» و«مراعاة الحاجة»

فالأولى تقي والثانية تُبقي، الأولى تحوط والثانية تُنفس.

وإهمال إحدى القاعدتين مآله إلى شيوع الفاحشة في الذين آمنوا.

فإهمال الأولى؛ ترك لذئاب الشهوة من داخل النفس وخارجها تمزق العفة تمزيقاً.

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، برقم: (٦٢٣٤)، وأخرجه مسلم عنه برقم: (٢٦٥٧).



وإغفال الثانية - بزعم الغيرة - سيحبس النفوس هنيهة ثم ترقب متى يتفجر
البركان؟

وقاعدة سدّ الذريعة في النور ظاهرة جداً:

- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ

بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ ٢١

- ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ آبَائِهِمْ﴾ ٣٠

- ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُضْنَ مِنْ آبَائِهِنَّ﴾ ٣١

- ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ٣١

- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ ٢٧

ولذا اتفق الفقهاء على أن المرأة إذا تميزت بحسنها أو كثر الفساق في مجتمعها
من دون رادع عن الطمع فيها؛ فإنه يجب على المرأة أن تستر زينتها، سواء كانت في
وجهها أو في غيره عند خوف الفتنة الظاهرة عليها كما هو واقع كثير من أحوالنا.

بل من دقة معالجة السورة لقضايا العفة ونواقضها وتشديده في هذه الأمر أنه
سبحانه قال: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ فالضمير في قوله
(فإنه) عائذ على (من) الشرطية، كما هو اختيار ابن سيدة في إعراب القرآن وأبي
حيان وجماعة، وعليه فقد جعلت الآية المتبع لخطوات الشيطان، والمنساق وراء
دعوته؛ أمراً بالمنكر والفحشاء، لما يتبع ذلك من تأثيره في محيطه ومجتمعها، فيكون
حال هذا المتبع في المآل كحال الأمر بالمنكر، فجاءت الآية تنبه المجتمع المسلم إلى أمرٍ
غاية في الخطورة، وهو أثر سلوك الأفراد في نشر ما يناقض العفة، وينشر الفاحشة



ودواعيها بين عموم الناس.

وجاء التأكيد في تربية الطفل وأهل البيت على آداب الاستئذان، وحفظ حرمة البيوت: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٩)، فينشأ وقد تعود على الستر وعدم رؤية ما يُستحى منه، ويحرك غرائزه، فيصبح هذا السلوك القويم ديدنه في شبابه وعمره كله، فالعين إذا تعودت على الستر والفضيلة والابتعاد عن رؤية ما يחדش الحياء والعفة؛ لن ترضى أن ترى خبيثاً بعد ذلك؛ بل وتنفر منه حيثما رآته.





وقاعدة مراعاة الحاجة أيضاً ظاهرة:

- (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) ٣٠

- (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) ٣١

وقد غايرت «النور» بين الأبصار والفروج فالأولى فعلها (يَعْضُوا) والثانية فعلها (يَحْفَظُوا)، والإغضاء هو: صرف المرء بصره عن التحديق وتثبيت النظر، فهو أغلبي وليس تاماً؛ بخلاف الحفظ، ثم جيء بـ (من) التي للتبويض مع (الغض) دون (الحفظ).

يقول ابن القيم رحمه الله عن غض البصر: ولما كان تحريمه تحريم الوسائل، فيباح للمصلحة الراجحة، ويحرم إذا خيف منه الفساد، ولم يعارضه مصلحة أرجح من تلك المفسدة؛ لم يأمر سبحانه بغضه مطلقاً؛ بل أمر بالغض منه، وأما حفظ الفرج فواجب بكل حال، لا يباح إلا بحقه فلذلك عم الأمر بحفظه^(١).

- ﴿وَلَا يَدِينَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبَنَّ كُحْمَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، وهنا

حرّم الله على النساء إبداء كل زينة، وهذا هو الأصل، فلا يجوز إظهار الزينة إلا ما استثناه الله وهو: (إلا ما ظهر منها)، واللفظ الذي جاءت به «النور» هو (ظهر منها) ولم يقل هنا سبحانه (إلا ما أظهرته) أو (إلا ثيابها) أو (إلا وجهها وكفيها) بل إلا ما ظهر هو ولم تقصد هي إظهاره، قال ابن عطية رحمه الله: ويظهر لي في محكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بأن لا تبدي وأن تجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة، ووقع الاستثناء في كل ما أغلبها فظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه أو إصلاح شأن

(١) روضة المحبين (١/ ٩٢).



ونحو ذلك، فما ظهر على هذا الوجه فهو المعفو عنه^(١). اهـ

ولذا جاز ما ظهر ضرورةً كالقوام من وراء الجلباب، وما أظهرته الحاجة؛ كالنقاب للعينين، وهو جائز بالنص والاتفاق، وجاز لها ظهور يديها عند الحاجة لذلك؛ كتناول شيء أو فتح باب أو أداء مهنة ونحوها، ولم يوجب أحد من الفقهاء القفازين عليها، وجاز ظهور وجهها عند الشهادة والخطبة والبيع والشراء؛ إذا احتاجت لذلك عند كافة الفقهاء.

- ومن آيات مراعاة الحاجة في «النور» عند ضعف الفتنة: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

فإسألة هنا رباعية :

(١) إذا قويت الذريعة وضعفت الحاجة:

كفتاة جميلة لا تحتاج إظهار يديها أو وجهها، أو صوتها رخيم رقيق بطبعه، ولم تحتاج للكلام مع أجنبي عنها. فهنا يُغلب جانب سد الذريعة.

(٢) إذا قويت الحاجة وضعفت الذريعة:

كامرأة كبيرة، لا يُشتهي مثلها في العادة، وتحتاج العمل لتغني نفسها ومن تعول، وطبيعة عملها الذي تيسر لها يحتاج لكشف يديها ووجهها، وقد يضاف لهذا أن تكون في بلد لا يُنظر لمثلها عادةً، ونحو ذلك مما تضعف معه الذريعة، فهنا يُغلب جانب مراعاة الحاجة.

(١) المحرر الوجيز: (١٧٨/٤).



٣) إذا تقاربتا في الضعف:

وأمثلة هذه تظهر مما سبق، والأصل هنا الستر كما سبق في آية الزينة ويؤيده قوله تعالى في القواعد من النساء ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُمْ﴾، فكيف بغيرهن؟!

٤) إذا تقاربتا في القوة:

وهذا الموطن مُشكل، فمثلاً إذا كانت حسنة الوجه واحتاجت حاجة قوية لكشفه، كأن تكون عند الجوازات؛ لتسافر مع زوجها، أو لطبيعة عملها الذي تعول نفسها وأهلها منه، وكانت حصاناً تحفظ نفسها.

فنقول هنا: بأن الأصل وجوب ستر الزينة فلأجل هذا سُرع الحجاب، لكن إن وقع الحرج عليها بسبب ذلك فقد قال الله ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج: ٧٨، ويشهد لذلك حديث الخثعمية المشهور في البخاري وغيره فإنها مع فتنة الفضل رضي الله عنه بنقابها فلم يأمرها ﷺ بتغطية عينيها؛ لشدة حاجتها إلى النظر مع ما يحتاج إليه الحج والسفر من القيام بالخدمة، والعمل الذي يصعب معه تغطية العينين حتى مع وجود الفتنة، وإنما صرف ﷺ وجه الفضل عنها، فتوجه الأمر بالصرف له لا لها، وهذا هو أرجح الوجوه في تأويل الحديث، والله أعلم.

- مشروعية النكاح:

الجوارح بفطرتها قد جُبلت على حب الشهوة، وقد ثبت في الصحيحين مرفوعاً: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّوْنِ أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَرَزْنَا الْعَيْنَ النَّظْرُ وَزَنَا اللِّسَانَ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمْنَى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيَكْذِبُهُ»^(١)،

(١) البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، برقم: (٦٢٣٤)، وأخرجه مسلم عنه برقم: (٢٦٥٧).



ولذلك شرع الله النكاح لتصرف هذه الشهوة في محلها الذي خلقها الله من أجله.

وقد جاء الأمر صريحاً في «النور» بالنكاح ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ (٣٢)، ولأجل أن أكثر ما يمنع الناس من النكاح خوف الفقر والعيلة إن تزوج أو زوج؛ وعدهم الله الغني الواسع بالغنى منه سبحانه ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح؛ ينجز لكم ما وعدكم من الغنى، ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ ﴾^(١)، وجاء معناه أيضاً عن عمر الفاروق وابن مسعود وابن عباس وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين^(٢).

وأما من ضاقت به اليد فلم يجد ما يتزوج به فليطلب العفة، ويصابر عليها؛ حتى يأتي الفرج ﴿ وَلَيْسَتَّعْفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٣٣)، واللام في (لَيْسَتَّعْفِ) لام الأمر، و«يستعفف» السين والتاء فيها للطلب، والمعنى ليجتهد في سلوك سبيل العفة، فهو أمر بملازمة أسباب العفاف في مدة انتظارهم، والسين والتاء فيهما معنى المبالغة في الفعل ليؤكد عليه لزوم بذل كل الوسع في تحصيل العفاف.

ومن أعظم أسباب العفاف: ما جاء في الحديث المشهور المتفق عليه: «يا معشر الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضَىٰ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنَ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(٣)، والصوم الذي يكون وِجَاءً وقاطعاً للشهوة؛ هو الصوم المتتابع شهرين وثلاثة، كأن يصوم يوماً ويفطر يوماً،

(١) أثر أبي بكر الصديق أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير: (٢٥٨٢/٨).

(٢) ينظر الدر المنثور: (١٨٨/٦).

(٣) البخاري عن ابن مسعود -رضي الله عنه-، برقم: (٥٠٦٥) و(٥٠٦٦) ومسلم عنه برقم: (١٤٠٠).



أو يصوم ثلاثة أيام في الأسبوع، ونحو هذا أشهرًا عدة، أما الصوم المتباعد، أو صيام شهر واحد كرمضان، فالعادة أنه لا يضعف الشهوة كثيرًا، كما هو مجرب من أحوال الشباب، وعمومًا هذا يختلف من شاب لآخر، لكن ما سبق هو الغالب من أحوالهم، ويدل عليه قوله في الحديث (فعليه) فإنها بمعنى فليلزم الصوم، قال في الفتوح: «واستشكل بأن الصوم يزيد في تهيج الحرارة، وذلك مما يثير الشهوة، لكن ذلك إنما يقع في مبدأ الأمر، فإذا تمادى عليه واعتاده سكن ذلك»^(١). اهـ



(١) (٦ / ١٤٦).



السُّورُ الثالث

أسلوب الإقناع بتعليل الأحكام

من الأمور المؤثرة في حفظ الأعراض، وتثبيت غرس الفضيلة في نفوس الفتيان والفتيات، قناعتهم العقلية الراسخة بفضل العفة وشرفها، ودناءة الفاحشة وخساستها، فحين النقاش بينهم وبين منتكسي الفطرة، يعلو منطقتهم وتغلب حجتهم، وتكون مواقفهم قويةً مدعومةً بدليل العقل الذي يُدعن له كل عاقل.

وهكذا كان تنزل «النور»، فأحكامها معللة، فهي لا تكاد تذكر حكماً أو وصفاً إلا وتتبعه بيان سببه أو الحكمة منه، فمن أول آية فيها علل الله سبحانه سبب تنزيلها وفرضها وتمام البيان في آياتها بقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١)، ولما شرع الملاعنة بين الزوجين حين القذف قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠) أي ولولا فضل الله عليكم بإنزال حكم الملاعنة بين الزوجين لأخرجتم وشق عليكم ما شدد الله به في مسألة شهود الزنا، فحتى يخف على النفوس قبول مشروعية الملاعنة بين الزوجين بين أنها فضل ورحمة، وكذلك حين نهى عن قبول قذف القاذف إلا بينة، علل ذلك بأنهم كاذبون ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٣)، وعلل الأمر بعفو الرجل عمن قذف أهل بيته بالفحش بقوله ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (٢٢)، وبعد الأمر بالرجوع إن لم يؤذن لمن استأذن قال: ﴿فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ (٢٨)، وكرر نفس العلة مع الأمر بغض البصر: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ (٣٠)، ونزل النهي عن ضرب المرأة برجلها إظهاراً لزينتها ﴿لِيَعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ (٣١)، وحين ذكر أحكام الزينة للمرأة قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾ (٣١)، ولما أمر بالصلاة والزكاة وطاعة الرسول ﷺ قال:



﴿لَمَلَكْكُمْ تَرْحُمُونَ﴾ (٥٦)، وعلل النهي عن مخالفته فقال: ﴿فَيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

والسورة أغلبها هكذا، يتخلل التعليل أحكامها، وقد جاءت السنة بهذا أيضاً، ففي مسند الإمام أحمد بإسناد جيد، عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: إِنَّ فِتْيَ شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنَا. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ: ائْذَنْهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيْبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ^(١)... الحديث فإذا أردنا أن نبني أسوار العفة حول أبنائنا وبناتنا ونأمرهم بالطهر وننهاهم عن ضده؛ لا بد أن نتعلم كيف نعلل؟

- فحين نوجههم لبعض الصداقات المفيدة، أو الاشتراك بحلقات تحفيظ القرآن، أو حضور بعض الأنشطة المفيدة لهم، وما شابهها مما فيه حفظ لهم عن أصدقاء السوء الذين تكثر بينهم الفواحش؛ فيجب أن نعلل ذلك تعليلاً مقنعاً قريباً من أذهانهم وطريقة تفكيرهم.

- وحين نمنعهم من بعض الزملاء، أو الزيارات، أو الأماكن، أو القنوات، أو أنواع من الجوالات، أو بعض مواقع الإنترنت، أو نحوها؛ يجب أن نعلل كذلك.

- وإذا حذرناهم من رؤية أو سماع أو قراءة ما يחדش حياءهم؛ لا بد أيضاً أن نعلل ذلك بطريقة مقنعة لهم.

(١) مسند الإمام أحمد: (٣٦/٥٤٥) برقم: (٢٢٢١١).



- أو أثينا على شخص، أو موقف حدث، أو ذمناهما؛ فوضّح للمتلقي العلة في الحالين، فمثلاً هناك أشخاص مشاهير من الرجال أو النساء لهم شعبية جارفة من المغنين، أو اللاعبين، أو الأثرياء، وأخلاقهم سيئة، وثوب طهارتهم مُدّس بقصص مشهورة، أو مقاطع فيديو، أو صور هابطة، وفي مثل هذا الموقف يجب أن نكون مؤهلين بدرجة عالية من وسائل التأثير والإقناع، لأن صورة واحدة أو مشهداً فاتناً من هؤلاء قد يهدم تربية سنوات.

- أيضاً عند الثواب أو العقاب أذكر العلة واضحة بدون لبس، والأمثلة في هذا كثيرة جداً وإنما قصدت الإشارة لا الحصر.

فإن سألت متدبر بأي شيء علّلت سور النور؟

فالجواب أن العلل المذكورة فيها على نوعين:

الأول: تعليل بأمر ديني؛ إما محبة أو رجاء أو خوفاً.

والثاني: تعليل بأمر دنيوي؛ من السعة في الرزق وحصول الخير ونحوها.

والأول أمثله قد ملأت ما بين طرفيها ولا تخطئها العين من أول نظرة،

ويكفيك منها قوله تعالى ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيَدْعَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٣٦) ﴿ جَالٍ لَا لَّهُمْ تَحَدُّ وَلَا يَبِعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٣٧) ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٨) .

فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه جيء له بلبن فعرضه على جلسائه واحداً واحداً، فكلهم لم يشربه لأنه كان صائماً، فتناوله ابن مسعود وكان مفطراً فشربه، ثم

تلا قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (١).

فنبه على علة هذا الصيام، وقد فسر ابن مسعود الزيادة هنا (ويزيدهم من فضله) بالشفاعة لغيرهم حين ضمنوا جنة ربهم، فهم صاموا خوفاً من ذلك اليوم وطمعاً بالجنة والمزيد من الله الكريم سبحانه.

وهذا هو الأصل في التعليل؛ أن يكون بالوعد والوعيد والجنة والنار، وطمعاً في رضى المولى وخشية من غضبه.

ويقع الخطأ الكبير منّا في تربيتنا لمن تحت أيدينا حين نفر من منهج القرآن إلى مناهج حادثة، نُكثِرُ فيها من استخدام مصطلحات (مستوردة)، زاعمين أن رحى (التربية المؤثرة تدور عليها)، فتارة يُنادى بها يسمى بـ (الإيجابية)، وأخرى (التحفيز)، وثالثة (الإقناع)، وهذه كلها طرائق (حق) لو اكتفت بحيزها اللائق بها، أما أن تُزاحم أو تُقدّم على منهج التربية بالمحبة والرجاء والخشية، وبالوعد والوعيد والجنة والنار والقيامة والساعة والطامة والقارعة والحاقة والزلزلة... التي امتلأت بها السور المكية؛ فخطأ جارف وضلال يلوح، وويح من ترك منهج تربية القرآن، واستعاض بغيرها من تجارب البشر طلباً للطرق (الإيجابية) فيما يزعم، ولو أفاد منها وجعل هذه تابعة لتلك لجمع الحسنين.

والثاني: وهو التعليل بأمر دنيوي فله أمثلته أيضاً، كقوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمَنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٥٥).

(١) ذكره ابن كثير في التفسير، وقال المحقق سامي سلامة: «ذكره المزي في تحفة الأشراف برقم (٩٤٣٥) وعزاه للنسائي في المواعظ».



ويأتي التعليل بالأمرين معاً، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَمَّا لَكُمُ تَذَكُّرُونَ﴾ (٢٧)، وقوله: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (٥٤)، وقوله: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ (٦٠) وهذه عامة في الدارين، وغيرها كثير...

ومن أساليب الإقناع في السورة؛ أن من جادل في جواز إظهار المرأة لزينته وجهها أو ملابسها أو غيرها، فليأت وليفسر لنا آية القواعد، وهي المرأة بلغ بها العمر ألا ترغب، ولا ترغب في النكاح: ﴿وَأَلْفَوْعَدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرَجُونَ نِكَاحًا﴾ فحكمها من جهة الستر ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ والثياب هنا هي الجلباب الذي يغطي البدن كاملاً عدا الوجه، فتضع الجلباب ويبقى الدرع (القميص) والخمار (غطاء الرأس) بشرط ألا تكون هذه العجوز الآيسة من النكاح مظهرة لزينته لم تعهد في جسدها أو ثيابها أو حليها، ومع كل هذا - من كبر السن وعدم التبرج بزينة - يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾، ثم جاء ختام الآية مشوباً بالتهديد: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٦٠).

فما الذي بقي من العذر لامرأة فتية شابة تظهر زينتها أمام الرجال الأجانب عنها؟؟

وهكذا تأتي السورة لتغلق كل منفذ لأي احتمال عقلي، يمكن أن يكون سبباً في تهاون الرجل أو المرأة في صيانة الشرف والعرض، بل وتحرك العقول لتزداد قناعة ويقيناً بضرورة حيطة العفة من كل دنس.





السُّورُ الرَّابِعُ

أَنْ الْعِفَّةُ فِي حَقِيقَتِهَا قَضِيَّةٌ قَلْبِيَّةٌ وَجَدَانِيَّةٌ

فمن أسس تربية «النور» للمجتمع، تربية الأجيال على محبة الطهر، وبغض الفاحشة.

تأمل اللفظ وتغيره: ﴿الْمَيْبُتَاتُ لِحَيْثِينَ﴾ و﴿وَالْحَيْثُونَ لِحَيْثَاتٍ﴾ هكذا بلا كناية ولا مؤاربة، فأين توارت توريات وكنايات القرآن؟!

بل يؤكد معناها بالنص على ضدها، ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ فلا بد من أحد الوصفين إما خبيث أو طيب.

وحين يرد هذا اللفظ المستشنع: «خبيث»، تتهدى إلى خاطرك آية الأنفال:

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾.

كانت أجساداً على الأرائك، بعضها فوق بعض بالحرام، فصارت أجساداً بعضها أيضاً فوق بعض، لكن متراكمة كجثث الموتى في نار جهنم، عياداً بالله.

ومن طهر نفسه فهو «الطيب»، والناس في هذا يتفاوتون:

١- فمنهم المحصن: وهو من حصن نفسه منها، وإن نازعته شهوته.

٢- وفوقه الغافل: وهو من لم تدّر الفاحشة بخاطره أصلاً.

ولما كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قد حازت أعلى المرتبتين قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (٢٣).



وفي القوم أناس جريرتهم الكبرى «فقط»: هي محبة نشر الفاحشة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، فهو لاء يجبون مشاهد الفحش بين الشباب والفتيات، يطربون لسماعها في المجالس، يرسلون روابطها للناس عبر المتديات، والإيميلات والجروبات، يتسابقون إلى برجة ونشر (البروكسي)؛ لتحطيم سدود الطهر، وما درى هذا المسكين أنه يُسابق إلى جبل من جبال جهنم، أيها يحطم رأسه أولاً.

فغرس محبة العفاف سورٌ عظيم من أعظم أسوار الفضيلة:

ولذا امتنَّ الله على المؤمنين بقوله: ﴿وَكُرْهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾، وأثنى عليهم بقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾، وقوله: ﴿وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾، ودعا به ﷺ لأتمته «اللهم طهر قلبه، وحصن فرجه»^(١).

وهذا الغرس له من الوسائل والأساليب ما لا يحصى:

١- الإقناع: «أترضاه لأملك...»^(٢) وقد تقدم الحديث عنه في السور الثالث.

٢- معرفة شرف العفة وفضلها: كما قال تعالى في سورة التحريم: ﴿وَمَرِّمَ ابْنَتِ عَمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ التحريم: ١٢، وفي الأنبياء: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ الأنبياء: ٩١، وهنا لطيفة بديعة في مجيء حرف الفاء (فنفخنا) بين الجملتين (أحصنت) و(نفخنا)، فالفاء هنا تفيد التفريع، أي أن ما بعدها (نفخنا) فرع ونتيجة لما قبلها (أحصنت)، فلا إله إلا الله ما

(١) مسند الإمام أحمد: (٣٦/٥٤٥) برقم: (٢٢٢١١).

(٢) انظر السابق.



أعظم بركة العفة في الدنيا والآخرة!.

بل إن الله لما ذكر مريم عليها السلام وصفها بثلاث صفات:

الأولى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾، والثانية: ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا﴾

والثالثة: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ﴾، فتأمل:

كيف قدم الله وصفها بالإحصان على وصفها بالتصديق والقنوت؟!.

وكيف ذكر النفخ بعده وقبلهما إظهاراً للسبب الأبلغ أثراً؛ لاصطفائها بهذا

النفخ العظيم!.

ومن السنة في الحديث الثابت عنه ﷺ قال: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ

شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ

الْجَنَّةِ شِئْتَ»^(١).

وما أجهل لو حَفِظْنَا بناتنا أمثال هذه الأبيات الرائقة، للشاعر المبدع خالد صابر:

أخطاه لا تهتكى ستر الحياء ولا تُضيّعي الدين بالدنيا كمن جهلوا

تمسّكي بكتاب الله واعتصمي ولا تكوني كمن أغراهم الأجل

كوني كفاطمة الزهراء مؤمنة وتعلمي أنها الدنيا لها بدل

كوني كزوجات خير الخلق كلهم من علم الناس أن الآفة الزلُّ

من صانت العرض تحيا وهي شامخة ومن أضاعته ماتت وهي تتعلُّ

(١) أخرجه أحمد في المسند عن عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه-، (٣/١٩٩) برقم: (١٦٦١).



كل الجراحات تشفى وهي نافذة ونافذ العرض لا تجدي له الحيل
أخناه إنّا إلى الرحمن مرجعنا وسوف نُسأل عما خانت المقل
أخناه عودي إلى الرحمن واحتشمي ولا يغرّتك الإطراء والدجل
توبي إلى الله من ذنب وقعت به وراجعي النفس إن الجرح يندمل

٣- التخويف من عاقبة الفاحشة: كما في حديث التّور في البخاري في رؤياه
 ﷺ: «قَالَ لِي - أَي الْمَلِكِينَ - انْطَلِقْ انْطَلِقْ فَانْطَلِقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُورِ، قَالَ
 عَوْفٌ وَأَحْسَبُ أَنَّهُ قَالَ وَإِذَا فِيهِ لَعَطٌ وَأَصْوَاتٌ، قَالَ: فَاطْلَعْتُ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ
 عُرَاءٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَيْبٌ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ فَإِذَا أَنَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا، فَقُلْتُ
 مَنْ هَذَا؟!.. قَالَا: وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقَبِ فَهُمْ الزُّنَاةُ»^(١)، وأحاديث انتشار الأمراض
 المستعصية بين أهل الفواحش، وإن كان في أسانيدها ضعف، ولم يخرجها أحد من
 أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجه، لكن استشهد بها السلف والأئمة في كتبهم،
 ودلالة الواقع تدل عليها.

٤- القصص: ومنها قصة يوسف عليه السلام، وحديث الذي دعت امرأة
 ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، وعند الإسماعيلي في مستخرجه، وأصله
 في البخاري مختصراً، عَنْ عَمْرٍو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: « كُنْتُ فِي الْيَمَنِ فِي غَنَمٍ لِأَهْلِي
 وَأَنَا عَلَى شَرَفٍ، فَجَاءَ قِرْدٌ مِنْ قِرْدَةِ فَتَوَسَّدَ يَدَهَا، فَجَاءَ قِرْدٌ أَصْغَرَ مِنْهُ فَغَمَزَهَا،
 فَسَلَّتْ يَدَهَا مِنْ تَحْتِ رَأْسِ الْقِرْدِ الْأَوَّلِ سَلًّا رَفِيقًا وَتَبِعْتُهُ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا وَأَنَا أَنْظُرُ، ثُمَّ

(١) أخرجه البخاري مطوّلاً عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - ، صحيح البخاري برقم: (٧٠٤٧)، وأخرجه مسلم
 عنه مختصراً، برقم: (٢٢٧٥).



رَجَعَتْ فَجَعَلَتْ تُدْخِلُ يَدَهَا تَحْتَ خَدِّ الْأَوَّلِ بَرِّقَ، فَاسْتَيْقَظَ فَزَعًا، فَشَمَّهَا فَصَاحَ،
فَاجْتَمَعَتْ الْقُرُودُ، فَجَعَلَ يَصِيحُ وَيُومِئُ إِلَيْهَا بِيَدِهِ، فَذَهَبَ الْقُرُودُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً،
فَجَاءُوا بِذَلِكَ الْقِرْدِ أَعْرِفُهُ، فَحَفَرُوا لَهُمَا حُفْرَةً فَرَجَّوهُمَا، فَلَقَدْ رَأَيْتِ الرَّجْمَ فِي غَيْرِ
بَنِي آدَمَ»، فتأمل كيف يمكننا تقييح الخيانة والفاحشة بمثل هذه القصة، فشيء لم
ترضه القرود لنفسها؛ فكيف يكون موقف الإنسان العاقل السوي منه؟!!!

وليت من استفرغ جهده في جمع هذه الوسائل من الكتاب والسنة وتجارب
الناس؛ فسيجد دررًا وجواهر أعلى من الألماس.





السُّورُ الخَامِسُ العلم اليقيني بمراقبة الله

تكرر اسم (العليم) للرب جل وعلا في «النور» عشر مرات، وأما صفة (العلم) وما يدل عليها فأكثر من ذلك بكثير، في تأكيد ملحوظ على هذا المعنى في السورة، ومن ذلك: ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٨)، ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٩)، ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢١)، ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٢٨)، ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (٢٩)، ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣٠)، ﴿ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣٢)، ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣٥)، ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤١)، ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٥٣)، ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥٨)، ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥٩)، ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٦٠)، وغيرها.

بل ختم الله آيات «سورة النور» بقوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيَنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (قَدْ) هنا للتحقيق، أي: يعلم علماً محققاً بما أنتم عليه، وختم السورة بكلمة (عليم)؛ له من الدلالة ما لا يخفى في أهمية بناء هذا السور العظيم؛ وهو «سور المراقبة».

وهذه المراقبة تتحقق في قلب المؤمن من خلال طريقتين عظيمين:

الطريق الأول: بكثرة التدبر في آيات الوعد والوعيد، ولذا لما قال تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ أتبعها مباشرة بقوله: ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيَنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا ﴾، فهذا التدبر يورث القلب خوفاً وطمعاً، ومن كان هذا حاله راقب أقواله وأفعاله، فيوم القيامة والحساب والميزان وتطابير الصحف والصراف والجنة والنار؛ وسائل



لا يجوز أن تغيب عن قلب وعقل وسمع وبصر المرء؛ ليستعملها في كل مراحل تربيته.

ولذا تتابعت آيات «النور» بين الوعيد تارة، كقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١)، وقوله: ﴿لَسَكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٤)، وقوله: ﴿هُمَّ عَذَابُ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (١٩)، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣).

وبين الوعد الجميل تارة أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٢)، وقوله: ﴿أُولَئِكَ مَبْرُؤَةٌ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٦)، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٣)، وقوله سبحانه: ﴿رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ هَيْدَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يُخَافُونَ يَوْمًا نُنْقَلِبُ فِيهِ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ ، وقوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٥٢)، وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرُّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٥٦)، وقوله: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (٥٤) وغيرها كثير.

وبمطلق الحساب تارة ثالثة: ﴿يَوْمَ يُؤْفِكُهمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (٢٥)، وكقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣٩).

وهذا الوعد والوعيد يأتي سابقاً قبل تعلم الأمر والنهي، أي: أن الإيمان لا بد وأن يكون قبل تعلم الأحكام، وقد أبان عن ذلك أوضح بيان: «المثل النوراني»، الذي هو واسطة عقد السورة، وسيأتي شرح ذلك مفصلاً قريباً - بمشيئة الله - وقد



جاءت آيات «النور» من مطلعها وهي تنبّه على ضرورة الإيمان أولاً، فلقد علقت أول أمر فيها بقوله سبحانه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٢)، وبعدها بيسير: ﴿يُعْظَمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧)، بل وتنفي آيات النور الإيمان عن تولى عن الطاعة، فقال جل وعلا: ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقًا مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧).

وبين سبحانه في «النور» أثر ضعف الإيمان أو انعدامه في تلقي الأمر والنهي، فيقول سبحانه: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ ﴿٤٩﴾ أَلِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾.

وفي مقابل ذلك أثر قوة الإيمان في سرعة الاستجابة للأحكام: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٥١).

وبلغ الأمر متناه حين زعموا أنهم سيطيعون، فسخر الرب سبحانه من زعمهم هذا فقال: (طاعة معروفة) لأنهم مهما أظهروا من الإذعان، وأقسموا الأيمان، فلا قوة بهم على الطاعة؛ لأن قلوبهم خاوية: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٥٣).

ومما أشارت إليه السورة: أنه لا بأس من الحض والحث على الخير، بوعد عاجل يتحقق في الدنيا، فقد خلق الإنسان عجولاً، فقال سبحانه واعداء عباده المؤمنين: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي﴾



لَا يُشْرِكُونَ فِي شَيْءٍ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾.

وتعظيم الرسول ﷺ وتعظيم أمره ركن من أركان هذا الإيمان لا يقوم إلا به، فقال سبحانه: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾، ومن تعظيمه: ألا نتذاكى بالاحتيال على أمره ونهيه، ونفحص بأذهاننا بحثاً عن مخرج حاذق ليس عليك فيه في ظاهر الأمر مستمسك، فقد قال الله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ قال قتادة: عن نبي الله وعن كتابه.

فمن أصر على الإعراض، ومخالفة الأمر بطريق خفي أو جلي؛ فوعيده من ربه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٣)، فتنة الدنيا بزيادة الضلال، فبعد المعصية تصيبه البدعة، وبعد فعلها مع كرهه لها يشرب قلبه حبها وهكذا، أو يؤخر ذلك له فيصيبه عذاب الله في الآخرة، عياداً بالله من الحاليين.

الطريق الثانية لزيادة الإيمان: تكرار التفكير في الآيات الكونية.

وقد أكدت «النور» هذا المعنى مراراً في آياتها:

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿الْمُرَرَّ أَنْ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ صَفَةٍ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾.

وإنما خص الطير بالذكر؛ لأنها تكون بين السماء والأرض إذا طارت، فهي خارجة عن جملة من في السماوات والأرض؛ ولذا نص على هذه الحال (صافات)، وقوله: (كل قد علم..). أي أن الله علم صلاتهم وتسبيحهم له، وأيضا هو الذي



علمهم كيف يصلون له ويسبحونه، فكلا المعنيين صحيح.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَزِيغُ اللَّهُ يُزِيغُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَابِقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾﴾ (٤٣).

ومعنى (يُزِجِي) أي: يسوق، (ثم يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ) أي: يضم بعضه إلى بعض؛ فيجعل المتفرقة قطعة واحدة، (ثم يجعله ركاماً) أي: يجعل السحاب بعضه فوق بعض، (فترى الودق): وهو المطر، قال الليث: الودق المطر كله، شديده وهينيه.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾ (٤٤).

وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ (٤٥).

فلابد للمؤمن من طول الفكرة: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ آل عمران: ١٩١، وقد سأل رجل أم الدرداء بعد موت زوجها -رضوان الله عليهما- عن عبادته، فقالت: كان يقضي نهاره أجمعه في التفكير.

وقيل لإبراهيم بن أدهم: إنك تطيل الفكرة، فقال: الفكرة مخ العقل.

وقال سفيان بن عيينة: «الفكرة: نور تدخله إلى قلبك»، وكان كثيراً ما يتمثل بقول الشاعر:

إذا المرء كانت له فكرة... ففي كل شيء له عبرة

وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿سَاءَ صِرْفٌ عَلَى الَّذِينَ يَنْكَرُونَ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ



الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴿ الأعراف: ١٤٦ قال: أمنعهم التفكر فيها.
وقد جمع بين هذين الطريقين بأوجز عبارة: الحسن البصري، فقال: ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، ويناطقون القلوب حتى نطقن.

وأبلغ منه جَمَعُ اللهُ تعالى لهما في آخر آية من سورة النور: ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيَنْتَهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ (٦٤)، فالتفكر: في السموات والأرض، والتذكر: بيوم الرجوع إليه سبحانه.





المثل النوراني وأسوار العفة

جمع الله علم «سورة النور» كاملة من دون نقصان في هذا المثل العظيم، الذي هو واسطة عقد السورة، وهو من أعظم أمثلة القرآن، لمن فهمه وأدرك غوره، وذلك أن الطهر والفضيلة والعفة: «نور»، وأن أضدادها من الصفات: «ظلمة»، فجاء هذا المثل الرباني لِيُبَيِّنَ بجلاء لا لبس معه عن ماهية وحقيقة هذا النور وصفاته واستمداده ووسائل تقويته وتنقيته، وطُرق حمايته، واستدامة جذوته، وغير هذا، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣.

وهاك بيان مُفصَّلٌ مُجدولٌ؛ لعله يزيل الاشتباك، ويدفع الارتباك، في فهم هذا المثل وما يرمي إليه، يقول الله تعالى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣٥)



جدول يوضح معاني المثل النوراني

وجه الشبه	المشبه	معناها	الآية
.....	لم يبدأ المثل	أي: مثل نور الله الذي يقذفه في قلب العبد المؤمن	مَثَلُ نُورِهِ
فكما أن نور المصباح ينعكس على المشكاة فتضيء، فكذلك نور القلب بالإيمان يضيء الصدر	صدر المؤمن أو المؤمنة، والصدر هو بيت القلب	هي الفتحة في الجدار لا تنفذ للخارج وعادة تكون مرتفعة	كَمِشْكَاتٍ
كلاهما مصدر للنور	نور الإيمان في القلب	رأس الفتيلة المشتعلة	المِصْبَاحُ
الزجاجة فيها الرقة والصفاء والصلابة، وكذلك قلب المؤمن جمع الأوصاف الثلاثة؛ فهو يرحم برقته، وتتجلى له الحقائق بصفائه، ويبعد الكدر والوسخ بصلابته.	هو قلب المؤمن	هي زجاجة المصباح التي تحيط بالفتيلة	الرِّجَاجَةُ
سطوع النور وبهاؤه، في حال كون الزجاجة (القلب) نقية من سواد الحقد والحسد والكبر ونحوها	حال القلب بعد وصول نور الإيمان إليه	أي الزجاجة بسبب النور الذي يصلها من المصباح (الفتيلة)	كَأَنَّهَا



وجه الشبه	المشبه	معناها	الآية
قوة النور ووضوحه بحيث يُرى من مسافة بعيدة، وكذا أثر نور الإيمان، ولم يشبهه بنور الشمس والقمر لثبات نورها، بينما نور الإيمان يقوى ويضعف كنور الكوكب الدُّري.	توهج القلب بنور الإيمان، وهذا النور يزيد وينقص بحسب زيادة الإيمان ونقصانه في القلب	وهو الكوكب العظيم شديد الإنارة، وعادةً نوره متقلب بين الزيادة والنقصان كما هو مشاهد	كُوكَبٌ دُرِّيٌّ
كل نور حسي أو معنوي؛ لا بد له من مادة توقده وتغذي توهجه	مادة الإيمان التي توقد النور في القلب	أي المادة التي يتقد بسببها الفتيل	يُوقَدُ
إحاطة البركة بها من كل جهاتها؛ موطنًا وأصلًا وفرعًا وثمره وعُصارة	شجرة الإيمان	هي مباركة وفي أرض مباركة	شَجَرَةٌ مُبَارَكَةٌ زَيْتُونَةٌ
السلامة من الآفات والحشرات والدخن الذي يكدر الصفو، ولذا الإيمان فيها صاف ليس له هوى لأي جهة كان، وإنما يقبل الحق وينطق بالحق.	تلفحها شمس الآيات الكونية والمتلوة، فهي دائرة بين الفكر في الخلق، والتدبر في الآي	أي أن حرارة الشمس تنقيها وتمهذها؛ لأنها في مستوي من الأرض، فلا يحجز الشمس عنها شيء؛ لا من شرقها ولا	لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ



وجه الشبه	المشبه	معناها	الآية
		غربها	
العاقل سليم الفطرة يبصر الحق في مجمله قبل نزول الوحي به، كما قيل: يكاد المؤمن ينطق بالحكمة وإن لم يسمع فيها بالأثر، فإذا سمع فيها بالأثر كان نوراً على نور	إيمان المؤمن قبل أن يبلغه الوحي	في داخله مثل النور يتلألأ لشدة صفائه	يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
فإذا صفا العاقل فطرته بكثرة التأمل في الكون وإبهاره، وأتبع ذلك بالتدبر في القرآن وإعجازه؛ فهذا أوان سطوع النور الإلهي تاماً دُرِّيًّا مُتَلَأَلًا في قلبه.	نور الفطرة يتبعه نور القرآن	أنوار متتابعة	نُورٌ عَلَى نُورٍ



المثل النوراني وأسوار العفة

يتبين مما سبق أن المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت إنما تمثل حلقات الإيمان، بدءًا بشجرته ثم زيتته وفتيله ونوره وزجاجته ومشكاته وكلها قلبية، فالطهر والعفة أصلها في القلب، وهي نور زيتها الإيمان، وهذا كله تأكيد على أن الإيمان يجب أن يكون قبل الأمر والنهي.

وهكذا تنزل القرآن، ففي صحيح البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمَفْصَلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا تَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لَا نَدْعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا لَا نَدْعُ الزَّنا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ»^(١).

وهذا الوصف منها لبيان أثر المنهج الذي تنزل به القرآن، وأن مخالفته من أعظم ما يكون خطرًا على من نريهم من بنين وبنات، فإن قولها: (وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا لَقَالُوا لَا نَدْعُ الزَّنا أَبَدًا)، بيان لحال الصحابة - رضي الله عنهم - مع نبي الله ورسوله ﷺ، فالأمر هو الله، والمبلغ الرسول، والمأمور الأصحاب، ثم بعد هذا لو أن منهج التدرج الموافق لتربية القرآن خولف، فرد المدعوين سيكون صريحًا: (لا ندع الزنا).

فما بالك بجواب غيرهم من بقية الأمة، حين يُقال لهم أولاً: (لا تزنوا، لا تنظروا إلى الحرام.. لا تسمعوا الحنا.. لا.. لا.. لا)؛ الجواب نراه عيانًا بيأنًا في موقف

(١) صحيح البخاري برقم: (٤٩٩٣).



الأمّة من أوامر ربها وأوامر رسولها ﷺ، ولا شك أن هذا سبب رئيس في ضعف أثر تزيّنتنا وتربيتنا على الناس، ولا بد لنا من التفطن له.

وهذه المسألة جليّة كبيرة القدر جدّاً، قد خفي على كثير من أهل القرآن وجه الصواب فيها، فوقعوا في خلاف منهج النبي ﷺ ومنهج أصحابه رضوان الله عليهم.

ومنهج النبي ﷺ في تعليم أصحابه القرآن هو تعليم الإيمان أولاً قبل تعليم الأحكام، وهي داخلة ضمن القاعدة المشهورة عند السلف في التعليم: (العالم الرباني: هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره).

وقد لخصّ ابنُ الفاروق -عبد الله بن عمر رضي الله عنهما- الفرقَ بنا وبينهم، فقال: لقد تعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن فازدنا إيماناً، وأنتم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون الإيمان، وقد أطلت الحديث عنها في رسالة: «فن تدبر القرآن الكريم»^(١).

وسبق ذكر آيات «النور»، التي تؤكد هذا المعنى في أثناء الحديث عن السور

الخامس.

(١) وهي مطبوعة، من إصدارات مركز تدبر.



صورة لمشكاة فيها مصباح مع أسوار العفاف الخمسة:



ختامًا: باب التوبة مفتوح

لهذه الأسوار باب مفتوح لا يغلق، دلت عليه بل ودعت إليه «النور»، لكنه لا يدخل معه إلا التائبون، فقد أكدت «النور» على أن مصاريع أبواب الأوبة إلى الله مُشْرَعَةٌ؛ حتى بعد المعاصي العظام، والموبقات الجسام، ما لم تُطَوِّ صفحة دنياك، وتَشْرَع في صفحة آخرتك.

- ففي كبيرة القذف: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥).

- وفي موبقة الإفك: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧).

- وحتى في الإكراه على البغاء: ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾ (٣٣).

- وختام سورة العفاف: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٢).

فيا أيها الداعية الموفق..

إن رفعت شعلة «النور» للناس، وكشفت لهم عن معانيها، وهديتهم إلى سبيلها، وربيتهم على آدابها، وأدخلتهم في حصونها، فأبوا بعد ذلك إلا الانغماس في أتون الفواحش، والعيش في ظلمات الرذائل؛ فلا عليك ولا تبخع نفسك أسفًا عليهم، فله الحكمة البالغة، وقد قال الله تعالى في «النور»: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٥٤).

اللهم يا نور السموات والأرض، اجعل سورة النور حجة لنا لا علينا، شافعة لنا يوم نلقاك، واجعل في قلوبنا منها نورًا، وفي ألسنتنا نورًا، وفي أبصارنا نورًا، وفي



أسماعنا نورًا، وفي أعصابنا ونخنا نورًا، وفي لحومنا وبشرتنا وشعورنا نورًا، وعن
 أيماننا نورًا، وعن يسارنا نورًا، ومن فوقنا نورًا، ومن تحتنا نورًا، ومن أمامنا نورًا،
 ومن خلفنا نورًا، واجعل لنا في نفوسنا نورًا، وأعظم لنا منها نورًا في الدنيا والآخرة،
 يا رب العالمين.

كتبه / عصام بن صالح العويد

في رياض التوحيد
 فجر يوم الأربعاء
 الموافق ١٦ / ١ / ١٤٣٢ من هجرة المصطفى
 صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأزواجه
 وأصحابه أجمعين،



فهرس الفوائد

- ٨ معنى كلمة (سورة)
- ٨ آثار في الحث على تعليم النساء سورة النور
- ١٠ عناية أهل العلم بسورة النور
- ١٢ النور ضربت (حجراً صحيحاً) على الزناة
- ١٣ الديانة منافية للغيرة
- ١٤ أنماط واسعة للإشاعة
- ١٥ (إذ تلقونه بألسنتكم) هل التلقي بالألسنة؟
- ١٦ (إذ تلقونه) فيها قراءة أخرى ومعنى لطيف
- ١٦ ما سر ذكر الأفواه في (وتقولون بأفواهكم)؟
- ١٧ دليل الإمام أحمد على كفر من رمى عائشة - رضي الله عنها -
- ١٧ حكمة قوله (بأنفسهم) في (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم)
- ١٩ اتفق الأئمة الأربعة على عدة أشياء
- ٢١ أدلة قاعدة سد الذريعة من سورة النور
- ١٢ (فإنه يأمر بالفحشاء) الضمير عائد على ماذا؟



- ٢٢ حكمة التأكيد على تربية الطفل على الاستئذان
- ٢٣ فائدة من كلام ابن القيم
- ٢٣ ابن عطية يفسر (إلا ما ظهر منها)
- ٢٦ آثار عن الصحابة في الحث على النكاح
- ٢٦ أعظم أسباب العفاف
- ٢٧ أورد ابن حجر إشكالاً ثم حله
- ٢٨ ذكر علل بعض أحكام سورة النور
- ٣١ خطأ كبير في تربيتنا لأولادنا
- ٣٢ من أساليب الإقناع في سورة النور
- ٣٣ الناس في تطهير أنفسهم نوعان
- ٣٤ فائدة في مجيء حرف الفاء بين (أحصنت) و(نفخنا)
- ٣٥ الله وصف مريم عليها السلام بثلاث صفات
- ٣٥ أبيات رائقة في العفة
- ٣٦ حديث عجيب عن عمرو بن ميمون
- ٣٨ تكرار اسم العليم وصفة العلم في سورة النور



- ٤٠ أثر ضعف الإيمان وقوته في تلقي الأحكام
- ٤١ (والطير صافات) ما الحكمة في ذكر الطير؟
- ٤٢ السلف والتفكير
- ٤٨ كيف كان تنزل القرآن
- ٤٩ منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم القرآن





فهرس الموضوعات

٥	هذا الكتاب
٧	المقدمة
٨	لمحة عن الآية الأولى من سورة النور
٩	سورة النور بيّنة أشد البيان
١١	مختصر الأسوار الخمسة
١٢	السور الأول
١٣	القول الصحيح في تفسير (الزاني لا ينكح إلا....)
١٣	سبب نزول (والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك)
١٤	لماذا تقدم السور الجماعي على التخويف بالآخرة
١٤	تحصين اللسان عن الفاحشة كما جاء في النور
١٥	أوصاف أصحاب الإشاعات
١٦	جزاء أصحاب الإشاعات
١٧	أربعة واجبات فرضها الله إذا جاءت شائعة
١٩	السور الثاني



- ٢٠ إعمال قاعدتين في حياة الطهر
- ٢١ قاعدة سد الذريعة
- ٢٣ قاعدة مراعاة الحاجة
- ٢٤ القوة والضعف بين الذريعة والحاجة
- ٢٥ مشروعية النكاح
- ٢٨ السور الثالث
- ٢٩ أسوار العفة للأبناء تكون مع التعليل
- ٣٠ علل سورة النور نوعان
- ٣٢ من أساليب الإقناع في السورة
- ٣٣ السور الرابع
- ٣٤ رسائل غرس السور الرابع
- ٣٨ السور الخامس
- ٣٨ تتحقق المراقبة من خلال طريقين
- ٣٩ تتابعت آيات النور بين الوعد والوعيد ومطلق الحساب
- ٤٤ المثل النوراني وأسوار العفة



- ٤٥ جدول يوضح معاني المثل النوراني
- ٤٨ دلالة المثل النوراني على تقديم الإيمان
- ٥٠ صورة للمشكاة مع أسوار العفاف
- ٥١ ختاماً: باب التوبة مفتوح



